الفصل الثانى

الحبشان

ليس سكان الحبشة شعباً واحداً ، بل شعوباً كثيرة[1] ، تختلف جد الاختلاف ، لا فى الجنس فحسب ، ولكن فى اللغة والدين والمظهر والصفات والعادات .

حبشى مهذب الملامح

ولا يزيد الحبشان أى الاثيوبيون على ثلث سكان الحبشة الحالية إلا قليلا ،

---

(١) وصفها بعض العلماء بأنها متحف الشعوب . ويرى سليجمان أنها (a Country of ethnic Confusion) ويذهب شفينفرث إلى أنها (a Very Mixed Race.)

obeikandl.com

ويسكن أكثرهم فى الشمال والوسط ، ويسكن الجلا فى الجنوب والجنوب الغربى ، ويسكن الصومال فى الجنوب الشرقى .

حبشى شنكلاوى الملامح

والحبشان فيما بينهم مختلفون ، فتراهم فى البلد الواحد متباينى الألوان [١] . فمن أسود حالك السواد غدا فى الإهاب ، إلى نحاسىّ اللون تحسبه إذا لقيته مصرياً من أبناء الصعيد أو عربياً من خلص عرب اليمن . وتتباين ملامحهم فتتدرج من ملامح الزنجى الأفطس الأنف ، الواسع المنخرين ، الغليظ الشفتين الفلفلى الشعر ، إلى ملامح العربى الجميل الطلعة ، الأقنى الأنف ، الأدعج العينين ، السبط الشعر .

وهذا الاختلاف المتدرج نتيجة لاختلاطهم بالأجناس الأخرى كالجلا والشنكلا.

---

(١) ولقد لحظ أحد المصريين ، وكان ملحقاً سياسياً فى المفوضية الملكية المصرية فى الحبشة « أن جميع الاثيوبيين ليسوا سمر الوجوه ، بل إن فيهم ذا اللون الخمرى والقمحى . واللون الأسمر ليس نتيجة البيئة والجو ، ولكنه يرجع إلى الدم الأصلى للسلالة التى هو منها » كذا

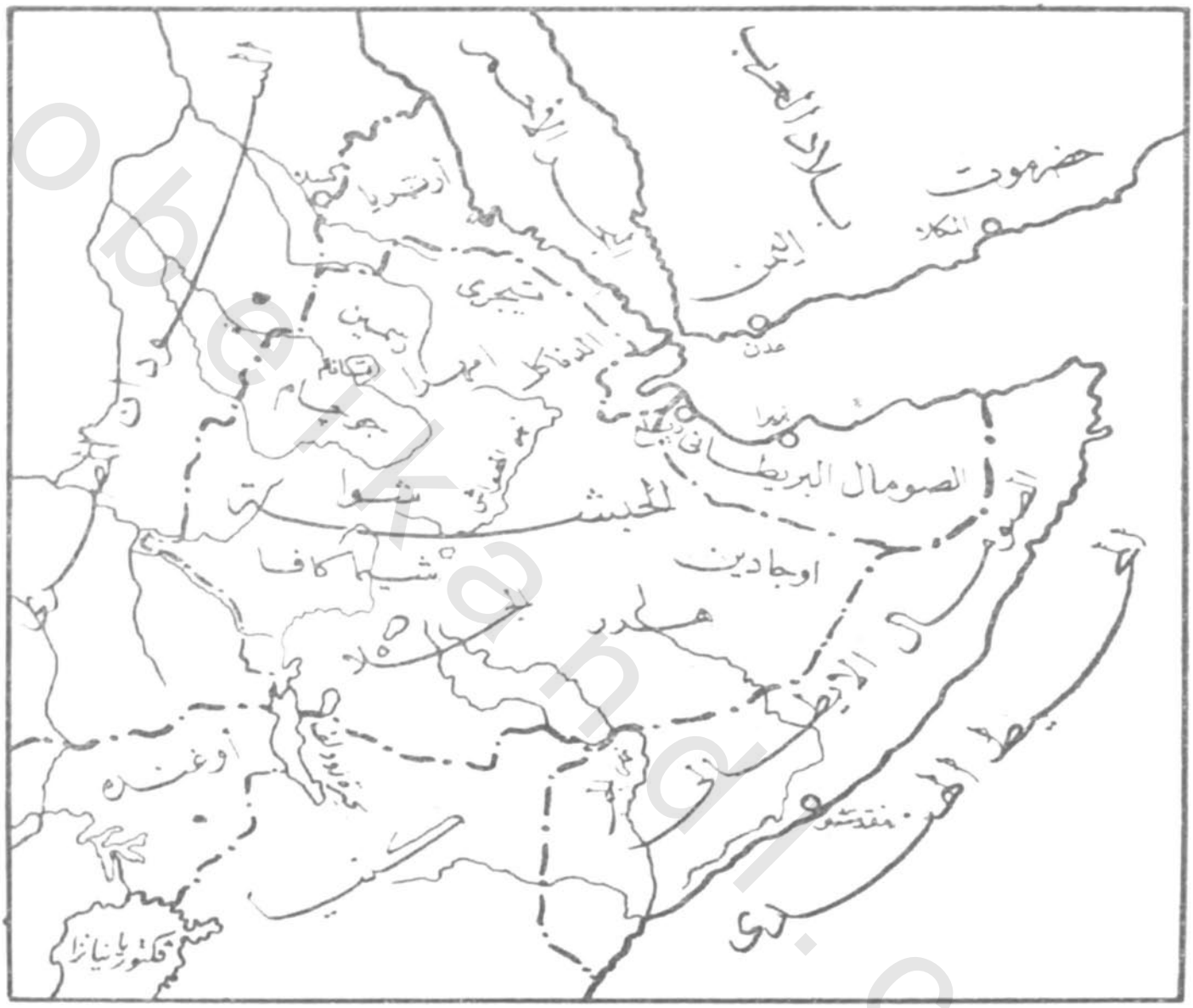

خريطة نمرة ٢ - أقطار الحبشة

obeikandl.com

وهم فى أقطار الحبشة المختلفة أشد تبايناً فى اللون والملامح والصفات وفقاً لبيئتهم الجبلية التى عزلت هذه الأقطار بعضها عن بعض ، وصعبت المواصلات بينها ، ولذلك نجد أن التيجريين أى سكان ولاية تيجرى Tigré فى شمال الهضبة الأقصى سود الوجوه ، غلاظ الشفاه ، طوال الرءوس ، مقوسى الأنوف ، ناتئى الوجنات ، صوفى الشعور على حين أن سكان مقاطعة لستا جنوبى تيجرى ، وفى الشمال الشرقى من بحيرة طانا ، منبع البحر الأزرق ، أغر يقيو الوجوه والملامح ، وألوانهم تضرب إلى البياض ، ورءوسهم وأقدامهم وأيديهم صغيرة جداً ؛ بالنسبة لأجسامهم . أما سكان أمهرة وشاوة فمعظمهم هجان (مولدون) ، سمر الوجوه ، رؤوسهم عريضة نوعاً ما ، وعيونهم واسعة ، أصحاب وجنات ناتئة وشعور سوداء رجلة . ويمتازون بطيب النحيزة ، وسهولة الخليقة وحلاوة الحديث ، والجود والسماحة . كما يمتاز التيجريون بالحدة والذكاء المفرط والفروسية وتأجج العواطف ، ويصمهم خصومهم بالخرق والتسرع وهم سادة الحبشة الآن ، كما كان التيجريون سادتها قبلهم . ولهذا يسىء الأمهريون الظن بهم ، ويرهبون جانبهم ، ولا يودون أن يتولى أحد منهم منصباً من مناصب الدولة الخطيرة .

ومن طريف ما يتندر به فى الحبشة القصة الآتية [١] . التى تبين عن أبرز الصفات عند سكان الولايات الثمانية القديمة .

ومجمل القصة أنه جاء من أورشليم إلى الحبشة ثمانية أشخاص : الحماقة ، وصلابة الرأى ، والأنفة ، والحضارة ، والشجاعة ، والأمانة ، والسذاجة ، والسياسة . فلما وصلن إلى بلاد تيجرى قالت الحماقة « لقد وجدت مستقرى » ، وتخلفت عن الركب . وانطلقت الأخريات . ولما وصلن بلاد سمين [٢] قالت صلابة الرأى . « قد وجدت مكانى وسأمكث به » وسارت الباقيات ، ولما بلغن بلاد وجارا قالت الأنفة « قد

(١) عن الأستاذ مراد كامل : من مقالة له نشرت فى الكاتب المصرى (فبراير سنة ١٩٤٦) عنوانها : عامان فى الحبشة . (٢) بلاد سمين جلها جبال شامخة ، وعرة ومن صفات سكان مثل هذه الجبال الصلابة فى الرأى ، فلا عجب أن استقرت صلابة الرأى فى سمين .

وصلت إلى ضياعى ومتاعى وسأعيش بها » ، وتابع الركب سيره . ولما وصلن إلى بلادجُندار قالت الحضارة لأخواتها « يا أخواتى لقد وجدت معسكرى وسأقيم فيه ». وسارت الأربع الباقيات . فلما وصلن إلى بلاد بيجمدر قالت الشجاعة . « سأستقر هنا فقد أعجبنى المكان » ، ولما بلغ الثلاث الباقيات دبرا تابر ، وقفت الأمانة على قمة الجبل وأرسلت ببصرها إلى بلاد جوچام وقالت لأختيها «استأذن منكما فإنى مبحرة إلى وطنى» . وتابعت الأخيرتان السير إلى بلاد أمهرا فقالت السذاجة لأختها «سأقيم هنا» ثم ألقت عصا تسيارها . فسارت السياسة إلى أن استقرت بمقاطعة شوا وهناك حلت ومن هناك حكمت .

والحبشى الخالص أشبه شىء بتمثال من البرونز ، نحيف ، معتدل القوام ، مفتول العضل ، فى جسمه الاستدارة المتماثلة التى تهب جسم الإنسان الجمال. ولذا يود كل نحات لو يتخذه نموذجاً لجمال الجسم ورشاقة القوام .

والحبشى بوجه عام ، ثبت ، متزن ، قوى الأعصاب ، بارد المزاج ، قل أن يهيج ولكنه مختال فخور ، معروف بالمكر وحسن الحيلة ، مشهور بزخرفة القول وتمويهه ، يقسو على حيواناته ، ويقيمها على الخسف ، ويذل خدامه ، ويروضهم على الضيم .

وكان الحبشان إلى عهد قريب يسومون أسراهم سوء العذاب ، ويقتلون أعداءهم أو خصومهم صبراً بعد أن يمثلوا بهم تمثيلا وحشياً .

ومن ذلك ما يروى عن الملك « تاوضروس » أنه علم أن بعض الرءوس يأتمرون به ، فأرسل فى طلبهم ، فجاءوه سراعاً مهطعين ، ولما أدخلوا عليه ، رأوه متجهم الوجه مقطب الجبين ، فأيقنوا بدنو آجالهم . وأمر الملك بأن يقبض عليهم ، وتقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم يصلبوا على فروع الأشجار لإلقاء الرعب فى الناس وليعتبر بهم سواهم . وحكم هذا الملك نفسه على ثائر بأن يحرق حرقاً بطيئاً إمعاناً فى تعذيبه . ومما يروى عن قسوة هذا الملك أن سكان إحدى الجزائر الكثيرة المبعثرة فى بحيرة

تانا خرجوا على طاعته لعسفه وظلمه ، واعتصموا بجزيرتهم وظنوا أنهم واجدون فى الجزيرة عصمة وأمناً . فجاء بخيله ورجله حتى أشرفوا على شاطىء البحيرة ، فلبث هو وجنوده على الشاطىء يحرق الأرم ساعة ، أشار عليه بعدها بعض قواده بأن يرسلوا فرقة من السباحين للقبض عليهم ، فسبحوا إليهم ، وجاءوا بهم ، فأمر بحرقهم أحياء .

ولا يفكر عظماء الحبشان ورءوسهم فى راحة أتباعهم ، أو أنصارهم ، وكثيراً ما شاهدهم الرحالون سائرين ممتطين صهوات خيولهم أو بغالهم ووراءهم الأتباع من الرجال حفاة دامية أقدامهم ، والتابعات من النساء محملات مالا يطقن حمله ، يكدن يهلكن من التعب والإعياء .

وعلى الرغم من أن الحبشى صلف فخور ، يقسو على من هم أصغر منه مقاماً ، فإنه يبغى الزلفى عند من هم أعلى منه منزلة و يخضع لهم ، و يقيم على خسفهم ، راضياً بظلمهم .

ومن عاداتهم المرعية أنه إذا أساء صغير المنزلة إلى كبير ، فإنه ليكفر عن إساءته ، يضع حجراً ثقيلا على عاتقه ، ويذهب إليه كاسف البال مطأطىء الرأس ، فإذا ما مثل أمامه ، صاح قائلا « اصفح عنى ، واغفر ذنبى » ولا يزال يكرر هذا القول وأشباهه إلى أن يقوم العظيم ، و يرفع الحجر عنه ، و يقول له « عسى الله أن يغفر لك » .

والحبشان مولعون بمعاقرة بنت الحان ، و بخاصة ذانكم الشرابان الوطنيان الطجّة ، وهو شراب مصنوع من عسل النحل ، والطلة وهو شراب مصنوع من الشعير[1] . و إذا ما شربوا سكروا . و إذا ما سكروا غابت أحلامهم ، وفقدوا أخلاقهم . وركبوا رءوسهم ومالوا إلى الشر . فتشاتموا . وتبادلوا الركل واللطم واللكم ، والطعن بالمدى ، وطارد بعضهم بعضاً ، فيتردى بعضهم فى الأخاديد السحيقة ، ويلقى حتفه .

ولهذا يفضل الرحالون الغربيون استخدام الحبشان المسلمين فى تجوالهم فى ربوع

---

(١) وفى ذلك يقول الأستاذ مراد كامل : وهم (أى الحبشان) أكثر الشعوب حباً لشرب الخمر . يشربونها عوضاً عن الماء . ويقولون فى أمثالهم : الماء للضفدع ، أو الماء للطفل والقرد . ويظهر أنهم لجأوا إلى شرب الخمر عند ما وجدوا أن الماء لا يصلح للشرب طول مدة الجفاف » كذا .

الحبشة المختلفة ، لتجنبهم الخمور ولأنهم أهدى وأصدق قيلا ، وأقوم لذلك سبيلا

والحبشان قسيسوهم ورؤساؤهم ودهماؤهم لا يحجزهم تقى عن محرم أو محظور . ولقد ذكر بعض رواد الحبشة من الأطباء الغربيين أن نسبة الأمراض السرية فى البالغين والبالغات من الطبقات الدنيا كبيرة جداً نتيجة لازمة لحياة الاستهتار التى لا يتحولون عنها ولا يستنكفون منها . وإنَّ كثيرين من الذين رادوا الحبشة ، وجالوا فى ربوعها ، وعاشروا أهلها ، وأحبوهم لصفاتهم الحميدة ، يشفقون عليهم أن يمعنوا فى دواعى الانقراض فينقرضوا . وأن يستأهلوا الآية القرآنية .

« وإذا أردنا أن نُهلِك قريةً أمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها فحقَّ عليها القول فَدَمَّرناها تَدْمِيراً » .

والذى يزيد الحال سوءاً أن العامة لا يتقون هذه الأمراض . ولا يحاولون الاستشفاء منها . وإذا ما سُئلوا فى ذلك أجابوا : أن الأمراض من الله . فإذا أراد شفانا منها ، وإذا شاء أماتنا بها . ولا راد لمشيئته .

وعلى الرغم مما وصف به الحبشان من مكر ، وإفك ، وصلف وزهو ، وقسوة وذلة ، فإنهم فى الحروب كماةٌ بسلاء . يهجمون على الأسود فى غاباتها فيقتنصونها . ومن يفعل منهم ذلك حق له مقابلة الإمبراطور ليقص على مسامعه قصة هذا الفعل الجليل ، وليعصبه بلبدته .

ولقد خاض الحبشان حروباً كثيرة ، وخرجوا منها منتصرين آخرها واقعة عدوة المشهورة ، التى دحروا فيها الإيطاليين سنة ١٨٩٦ م ، وردوهم على أعقابهم خاسرين . ولم يستطع الايطاليون أن يتغلبوا عليهم فى حرب سنة ١٩٣٨ م . وبجيوشهم الجرارة ، المجهزة بأحدث العدد الحربية ، إلا بعد أن أفسدوا نفوس كثير من رءوسها وذوى النفوذ فيها بما أغدقوا عليهم من مال ، وبما منوهم به من آمال . وأرسلوا عليهم من طائراتهم طيراً أبابيل ، ترميهم بقذائف محرقة مدمرة ، وغازات خانقة .

حبشان معصبون بلبدة الأسد

ولقد كانوا قبل نكبتهم الأخيرة يهزءون من الجنود الأوروبيين ، لاختفائهم فى الخنادق فى أثناء الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، والترامى بالمدافع والقذافات من غير أن يشتبكوا .

ضابط حبشى (نظام قديم)

ولقد روى أحد الرحالين أنه لقى مرة أحد قواد الحبشان ، فتجاذبا أحاديث الحروب ، فقال الحبشى للسائح الغربى ، وهو يحاوره : « كيف تكسبون حرباً بالاختفاء من

عدوكم ؟ (و يعنى حرب الخنادق التى كانت سائدة فى أثناء الحرب العظمى) أما نحن فنهجم على عدونا ظاهرين ، وننهى الموقعة فى يوم واحد .

والأثيوبى [1] دمث الأخلاق ، رقيق الحاشية . وفى ذلك يقول أحد المصريين الذين عاشروهم . . . . . الأثيوبى العادى مؤدب مهذب . . . . . و يقول الأستاذ مراد كامل . . . الشعب (أى الحبشى) فى جملته جم الأدب ، كثير الوقار ، والاعتزاز بالنفس . وهو أكثر الشعوب تحفظاً فى الكلام . لا تجد فى لغتهم لفظه « لا » فهم يسوفون كل شىء بقولهم نعم غداً بدلا من لا » .

ومن صفات الحبشان الموروثة السماحة والكرم ، فهم يشاطرون الغريب طعامهم ، و يؤثرونه على أنفسهم ، ولو كانت بهم خصاصة . و يتفننون فى إكرام الضيف . ولقد أدت بهم مبالغتهم فى إكرام ضيوفهم إلى عادة مرذولة يندى لها وجه الفضيلة خجلا .

و يسرف الغربيون فى القول بجدب خيال الحبشان ، وجمودهم فى التفكير ، وعجزهم عن تصريف الأمور و يروون فى ذلك قصصاً أطرفها قصة مجملها أن مهندساً أستراليا طلب من الحكومة الامبراطورية فى أديس أبابا أن تأذن له بالسفر إلى إحدى ولايات الحبشة النائية للبحث فى طبقات أرضها عن معدن النحاس . فأذن له بالسفر . وأعطى له جوازاً يسهل وصوله إلى غايته ، فلما وصل ، و بدأ ينقب ، اعترضه حاكم الولاية ومنعه من التنقيب محتجاً بأنه مأذون بالمجىء إلى الولاية لا بالحفر والتنقيب . فحاول المهندس إقناعه فلم يفلح ، وأصر على منعه . وأرسل رسولا إلى العاصمة ليعود بالإذن بالحفر ، فقضى فى الطريق ذهاباً و إياباً شهوراً ، وجاء المهندس الإذن بالحفر والتنقيب ، فعثر بعد جهد على عينات جيدة من النحاس الخام . فجمعها فى أكياس صغيرة ، وحملها إلى خيمته . فانتهى خبر ذلك إلى الحاكم . فثارت ثائرته ، وسار فى خيله ورجله إلى مخيم المهندس وألقى القبض عليه متهماً إياه بأخذ ما لم يؤذن بأخذه .

(١) يكره الحبشان لفظ الحبشة ومشتقاتها ، ويحبون أن يطلق عليهم ما اشتق من لفظة أثيوبيا .

وقال له وهو يجادله : إنك مأذون بالبحث عن معدن النحاس . ولكنك لست مأذوناً بالاستيلاء على ما تعثر عليه منه فى باطن الأرض .

وأرسل المهندس مقبوضاً عليه مخفوراً إلى العاصمة حيث روى لأولى الأمر الحبشان قصته المحزنة المضحكة .

والحبشان كسكان البيئات الجبلية الأخرى مخشوشنون فى طعامهم ، ولباسهم ومساكنهم . متعصبون لمعتقداتهم . محافظون على ما وجدوا عليه آباءهم من صفات ، وعادات . لا يطيقون مع ناقدها صبرا ، ولا يبغون عنها حولا .

ولقد بلغ من اخشيشانهم فى طعامهم أنهم يأكلون اللحم نيئاً .

ولقد حكى أحد السائحين أن أحد الرءوس دعاه هو وأتباعه الحبشان لتناول الغداء . فلبوا الدعوة . فأجلس أتباعه فى فناء بيت الداعى على محيط دائرة . وجىء لهم بشاة نيئة ، يحملها اثنان من خدم الداعى على قصبة طويلة ، فاستل كل مديته . وأخذوا يقطعون منها ويأكلون والدماء تسيل على أيديهم ، وأذرعتهم ، وأذقانهم . وما زالوا كذلك حتى لم يبق من الشاة إلاّ عظامها .

واللحم النيىء خير ما يقدم للحبشان فى الولائم الكبيرة .

فإذا ما أولم النجاشى أو رأس من الرءوس وليمة جلس المدعوون (من الحبشان طبعاً) متقلدين سيوفهم فى بهو الاحتفال، فيطاف عليهم بالعجول المذبوحة ، وهى تقطر دماً . فإذا ما قدمت لأحدهم ، يقوم لها : ويستل سيفه أو سكينته ، ثم يولى وجهه نحو الداعى ويحنى رأسه له . ثم يعض بنواجذه على قطعة منها . ويقطعها بسيفه أو سكينه ثم يقضمها قضماً ، كما يقضم الوحش الضارى فريسته .

ويبدى الحبشان مهارة فائقة فى قطع اللحم النيىء بسيوفهم وهم عاضون عليها بأسنانهم . وكل من رآهم من السائحين يفعلون ذلك يعجب جد العجب لعدم جدع أنوفهم لأنهم يقطعون اللحم من أسفل إلى أعلى .

حفل من حفلات أكل اللحم نيئاً

وأكل اللحم نيئاً عادة قديمة لا يعرف على وجه التحقيق متى بدأت ولا كيف نشأت .

ولقد كتب المقريزى فى كتابه : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام : « ويأكلون اللحم نيئاً (والضمير يعود على الحبشان) حتى لقد أخبرنى من شاهد الحطى (أى النجاشى) داود بن سيف أرعد يأكل كرش بقرة نيئاً وما فيه من بقايا الفرث يسيل على حنكه ... وشاهد رجلا يأكل دجاجة وهى تصيح ...

ويزعم بعض الحبشان أنها عادة مستحدثة يرجع مبدؤها إلى عهد غارات المسلمين على بلادهم. فإنهم (أى المسلمين) ضيقوا عليهم الخناق فكانوا لذلك يعتصمون بالغابات ويأكلون اللحم نيئاً تجنباً لإيقاد نار تنم عليهم وتهدى الغزاة إلى مخابئهم ، ويصرون على هذه العادة الوحشية [1] ليذكروا تلك الأيام العصيبة التى جاهدوا فيها جهاد الأبطال فى سبيل وطنهم المفدى إيثيوبيا .

---

(١) ويسمى الحبشان أكل اللحوم نيئاً بروندو . ويزعم بعضهم أنه يولد خلق الشجاعة والاحتمال وغير ذلك من أخلاق المحاربين الأبطال .

ولا يأكل الحبشان المسيحيون الحمام لاعتقادهم أن المسيح عليه السلام ، ظهر للحواريين فى صورة حمامة . فالحمام عندهم لذلك مقدس لايجوز قتله ، ولا أكله ، ولا يأكلون الديك لأن المسيح قال لبطرس : « عند صياح الديك ستنكرنى ثلاث مرات » ولا يأكلون الأرانب وربما كان ذلك أثراً من التعاليم اليهودية التى سنلمح لها عند ذكر الفلاشة أى يهود الحبشة . كما يحرمون على أنفسهم ذبح الحملان الصغيرة .

ولايشرب التبغ من الحبشان إلا المتشبهون منهم بالأوروبيين والمتخلقين بأخلاقهم. ولقد كان محرماً عليهم فى عهد الإمبراطور يوحنا . وكان عقاب من يأتيه منهم قطع شفتيه .

ويكره الحبشى تناول طعامه فى العراء حذر الشياطين ، واتقاء شر الحاسدين . وهو شره فى الأكل ، ويؤثر عن أحد مطارنة الحبشة أنه قال : لو أتيح لقومى أكل اللحم كلما أرادوا ، لأفنوا كل ما فى الحبشة من أبقر وأغنام فى زمن قصير . ويحدث الحبشان فى أثناء مضغهم الطعام صوتاً عالياً . وعندهم أن الصوت العالى فى أثناء المضغ علامة كرم المحتد ، وطيب العنصر . ولهذا لا يجرؤ الفقير أو الوضيع أن يحدث صوتاً عالياً فى أثناء أكله .

ومن العادات المرعية عندهم أن يقدم الطعام كله لرب البيت أولا ، فيأكل منه ، حتى إذا ماشبع ، نهض ، وتنحى جانباً ، فجاءت زوجه وولده ، إن كان ذا ولد فأكلوا من فضلته . فإذا ما اكتفوا ، نهضوا وأكل الخدم ماتبقى .

وقوام طعام الطبقة الفقيرة (وتشمل هذه الطبقة نحو ٩٠٪ من السكان) الحمص الأخضر أو الجاف ويسمونه الشنبرا . وشرابهم الطلة .

وطعام الحبشان كطعام العرب بسيط لا أثر فيه للمدنية التى من شأنها أن تكثر من أنواعه ، وتزيد من تعقيد تركيبه .

وأشهر طعام الحبشه وألذه حبشه واط ، وهو مكون من الدجاج ، أو اللحم المفروم والبيض ، ويوضع عليه قليل من المرق ، وكثير من الفلفل الحريف (الشطة) .

ويشرب الحبشان القهوة بعد الأكل ، ويضعون عليها ملحاً بدل السكر .

ويلبس الحبشان على اختلاف درجاتهم القمصان البيض الفضفاضة [١] والسراويل الطويلة الشبيهة بسراويل الهنود [٢] ، ويلبسون فوق ذلك الشاما ، وهى ريطة بيضاء من القطن ، ترمى على الأكتاف بحيث لا تعوق اليدين أو الذراعين عن سرعة الحركة .

ونعومة نسيج الشاما ، ومقدار اتساع الشريط الأحمر الذى ينتهى به طرفاها يدلان على مرتبة الشخص الاجتماعية وهذا معروف « بروتوكولياً » عند الحبشان ومن يتعد منهم حدوده ويلبس غير ما خصص له يلق جزاءه .

ويلبس الحبشان فى أيام أحزانهم الملابس الملونة ولا يعدون السواد لون الحداد .

ويخلع الإمبراطور على العظماء والشجعان صدرات من الديباج الأحمر المبرقش .

ويستبدلون الدينو بالشامة إبان الحرب ، ويصنع الدينو من جلود الأسود أو الفهود أو الأغنام ، ويبطن بنسيج أحمر للعظماء .

ويستحب عندهم لبس اللون الأحمر وقت الحروب حتى لا يعرف العدو ما بأجسامهم من جراح دامية فيطمع فيهم .

ويندر أن يلبس الحبشان فى أقدامهم أو على رءوسهم شيئاً فهم لذلك عراة الرءوس حفاة الأقدام .

وملابس النساء مثل ملابس الرجال مع فارق صغير ، وهو أن قميصهن وسراويلهن

---

(١) وهى طويلة تصل إلى ركبات الرجال ، وأطول للنساء .

(٢) وهى واسعة فى أعلاها (حول الفخذ) ، ضيقة فى أسفلها أى حول الساق ، وتثبت حول الكعب بأزرار صغيرة من الفضة أو الذهب .

أوسع وأطول قليلا ، وتنتهى أكمامهن وياقاتهن بزركشة من الحرير الملون . ويلبسن نطاقاً حول أوساطهن يتدلى منه أداة لتنظيف الآذان ومشط وبعض الحليات الفضية الصغيرة .

ويلبس الحبشان برانس سوداً من الصوف ليتقوا بها المطر إذا ساروا فى أثناء نزوله.

ولم يكن الحبشان — ملوكهم وسوقتهم — قبل مقدم فخر الدولة المصرى ، يلبسون إلا ما يستر عوراتهم .

ولقد كتب المقريزى فى كتابه الإلمام « إنهم عراة الأبدان لا يكادون يعرفون لبس المخيط ، بل يرتدون ويتزرون فى أوساطهم . . . . . وقد كان الحطى داود بن سيف أرعد يخرج عريانا وقد عصب رأسه بعصابة خضراء . . . . ولم يتميز إسحق بن داود بن سيف أرعد عن رعيته بالملابس الفاخرة إلا بعد أن قدم عليه من قبط مصر نصرانى يعقوبى يعرف بفخر الدولة ، فنظم الدولة ، وأصلح شئونها . وضبط أمورها ، وأشار بإدخال كثير من أساليب الترف والنعيم » .

ومع ذلك فإن الحبشان ظلوا إلا أقلهم حفاة ، مجردين من الملابس إلا مما يستر عوراتهم حتى أواخر القرن التاسع عشر فقدم إليهم من الغرب وفود تجارية و بعوث دينية وهيئات سياسية فاتصلوا بهم . ونقلوا عنهم كثيراً من أساليب المدنية الحديثة . ولبس دهماء الشعب المخيط بعد أن كان مقصوراً على رءوس الأمة وصدورها .

ومساكن الحبشان أكواخ صغيرة قذرة مسقوفة بالقصب أو بالزنك المموج ، ولا تختلف بيوت العظماء أو الرءوس عن بيوت العامة إلا فى اتساعها .

ويتخذ الرءوس بيوتهم فى أماكن حصينة ، كرءوس التلال وذروات الجبال .

وبيوت العامة عارية من كل ما يزينها ، وليس بها إلا بعض السلال والأوانى الفخارية ، أما الأغنياء والعظماء فيفرشون بيوتهم بجلود العجول والبسط ويرمون عليها الوسائد ليجلسوا عليها. ويندر وجود الكراسى والحوانات والصواوين فى بيوتهم.

وأكواخ الفقراء مكونة فى الغالب من غرفة واحدة ليس بها إلا فتحة واحدة تقوم مقام الباب والنافذة والمدخنة ، ويوقدون النار فى وسطها فيجلل دخانها كل شىء بالسواد .

ويأوى إلى هذه الأكواخ الحقيرة الرجل وزوجه وولده وبغله وحماره ، وأحسن مكان فيه يخصص للرجل أو السيد كما يسمونه (جيته) والمكان الثانى فيه للبغل ، أما الزوجة والولد والحمار فينامون فى المكان الخالى .

ولا يعتقد الحبشان فى فائدة المراحيض التى تكاد تخلو جميع بيوتهم أو أكواخهم منها . ويستبدلون بها الغابات المجاورة والطرق العامة .

ويكثر الحبشان من الخدم فى بيوتهم . وهم يقومون بطحن الغلال والاحتطاب ، وإحضار الماء ، وإعداد الخبز والأنواع الأخرى من الطعام .